مَخَاضُ الظِّلّ

(مستهل النص / الأب يفتتح الوجع)

حَمَلَ الفَنَاءُ فَتَاةَ أَحْلَامِي أَمَلْ،

فَأَتَى المَخَاضُ،

وَمَا انْثَنَى وَجَعُ الثِّقَلْ. . . !

وُلِدَتْ حَبِيبَتُنَا تُعَانِي بُؤْسَهَا،

تَبْكِي،

وَيَبْكِي قَبْلَهَا أَسَفُ الطَّلَلْ. . .

أَسَفَاهُ يَا رُوحِي عَلَى رُوحِي الَّتِي

جَهَرَتْ بِمَا يَجْنِيهِ إِضْمَارُ الأَزَلْ. . .

يَاوَيْلَهَا !

ذَرَفَتْ دِمَاءَ النِّيلِ تَغْسِلُ عُمْقَهَا

لَمْ تَدْرِ أَنَّ الدَّمْعَ يَنْزِفُ فِي القُرُوحْ. . .

وَمِهَادُهَا رَغْمَ البَيَاضِ النَّاصِعِ

غَطَّتْهُ أَصْدَاءُ الصُّرُوحْ. . .

للشاعر السوداني/ حسن عبد الرحمن موسى مصطفى. بريد الكتروني: hasan.a.m.mustafa@hotmail.com
https://archive.org/details/makhad-al-zil-poem

أَسَقَيْتَهَا دَفْقَ الحَنِينِ مُهَدْهِدًا ؟

أَمْ لِلْوَرَى أَلْقَيْتَهَا بَدَنًا بِرُوحْ. . . ؟

يَا وَحْيَ نَفْسِيَ!

احْرُسِ البَحْرَ التَّلِيدْ

وَجَعِي لِأَنْ تُسْقَى بِكَأْسٍ

مِلْؤُهَا نَخْبُ المَآسِي،

مِنْ أَخَادِيدِ الجِرَاحْ. . .

فَلِمَ اسْتَبَاحَ الحُزْنُ كُلَّ حُدُودِهِ؟

وَيُعِينُ سَطْوَتَهُ هَزِيمُ الاجْتِيَاحْ. . . !

(الابنة . . في ظلال غياب الأم)

أُمَّاهُ لَوْ أَعْطَيْتِنِي قَبَسًا،

يُضِيءُ مَسَارَنَا عَبْرَ السِّنِينْ. . .

أُمَّاهُ لَا عَرْشًا فَرِيدًا،

لَا نُجُومًا ابْتَغَيْتُ،

وَلَا غَنِيَّاتِ العُيُونْ. . .

للشاعر السوداني/ حسن عبد الرحمن موسى مصطفى. بريد الكتروني: hasan.a.m.mustafa@hotmail.com

لَوْ كُنْتِ قُرْبِي مَا اسْتُحِلَّتْ أَدْمُعِي،

مَا شَابَنِي خَوْفٌ،

وَلَا فُتِحَتْ دَهَالِيزُ السُّجُونْ. . .

(الابنة تحدث نفسها)

مَا ذَنْبُ أَنْ تَلْقَى البَرَاءَةُ حَتْفَهَا ؟

مَا سِرُّ أَنَّ الصَّدْرَ مَأْسُورُ الضَّمِيرْ. . . ؟

أَيَهُونُ أَنَّ الْوَهْنَ يَغْمِي ضَحْكَتِي؟

مَا سِرُّ أَنَّ البَحْرَ مَأْسُورُ الزَّفِيرْ. . . ؟

وَلِمَ الْغَبَائِنُ لَا تَنَامُ تَدُكُّ بَوْحَ مَرَابِضِي؟

وَشَوَارِعِي ثَكْلَى تَنَادَى قَهْرُهَا !

وَلِمَ المَدَامِعُ لَا يُكَفْكَفُ سُؤْلُهَا،

وَلِمَ المَوَاتُ يَتِيمَةً،

أَشْكُو البَيَانَ المُسْتَطِيرْ. . . ؟

(الأبنة تسائل ظل الأب)

آلَافُ أُلوَانٍ وَأَطْيَافٍ بِحَوْلِي تَزْدَهِي،

وَأَنَا بِبَهْوِي أَرْتَدِي طَيْفَ السَّوَادْ . . .

مَا بَالُ يَأْسِكَ يَسْتَفِزُّ رَتَابَتِي ؟

وَوَبَالُ بَعْضِكَ قَدْ تَمَرَّدَ جُنْحُهُ

مَا بَالُهُ لَا يَمْتَطِي شُهُبَ الرَّشَادْ . . . ؟

مَا ضَرَّ فَقْدَكَ أَنْ تَنَامَ ظِلَالُهُ؟

تَنْسَلُّ جُنْحَ الفَقْدِ،

تَقْذِفُ حِقْدَهَا،

لِيُعْتِمَ القَبَسَ الخَفِيضَ،

تَغْتَالُ آمَالِي الصّغَارَ،

وَتُشِينُ مَا قَدْ زَانَهَا،

مَا بَالُ لَيْلِكَ يَقْتَفِي دَمْعَ المِدَادْ . . . ؟

للشاعر السوداني/ حسن عبد الرحمن موسى مصطفى. بريد الكتروني: hasan.a.m.mustafa@hotmail.com

(الابنة تفضي بعتبها للأب)

أَبَتَاهُ يَا وَجَعًا أَذَابَ تَأَلُّمِي،

حَقًّا سَئِمْتُ لِبَاسِيَ الْمُسْوَدَّ دَوْمًا،

وَانْهِيَارَاتِ الأَمَانِي،

وَافْتِرَاءَاتِ الشُّجُونْ. . .

فَأَحِنُّ لِلطُّرُقَاتِ تَنْشُرُ بِشْرَهَا

وَأَتُوقُ أَسْوَارَ الْمَدَارِس،

مُلْتَقَى الأَحْبَابِ أَبْوَابُ الْعُبُورْ

أَبِأُمِّنَا جَافَيْتَ أَبْيَاتَ الْفَرَحْ؟

أَمْ مِنْ بُكَائِي تَسْتَعِيرُ تَسَاقُطَ الْكَلِمِ الْحَزِينْ. . .؟

(الأب يلملم ركام السنين)

"لَا يَا بُنَيَّةْ:

فَإِنَّهُ الرَّهَقُ الْفَسِيحُ،

وَانْكِسَارَاتُ الْجَنَاحْ. . .

آلَافُ أَعْجَازٍ تَنُوحُ تَأَلُّمًا،

وَتَنَاثَرَتْ أَشْلَاؤُهَا مِلْءَ البَرَاحْ. . .

عَجَبًا لِذِكْرَاهَا الَّتِي لَمْ يَثْنِهَا،

كُلُّ التَّحَسُّرِ وَالجِمَاحْ. . .!"

(الابنة مستبشرة)

فَفِدَاكَ أَفْرَاحِي،

وَمَا جَرَّتْهُ هَوْجَاءُ الرِّيَاحْ. . .

بُؤْسًا لِأَنْوَاءِ المُنَى،

وَاحْسِنْ بِآيَاتِ الصَّبَاحْ. . .

فَلَطَالَمَا دُكَّتْ ظُنُونُ الحَاسِدِينَ بِبَسْمَةٍ

مِنْ بَعْدِ أَطْيَافِ النُّوَاحْ. . .

فَالظُّلْمُ جَمْرًا يَلْفِظُ،

وَالنُّورُ مِنْ شُرَفِ الفَلَاحْ. . .

وَالعِشْقُ إِنْ سَلَبَ المُحِبَّ فُؤَادَهُ،

فَالرُّوحُ تَنْبِضُ بِالسَّمَاحْ. . .

للشاعر السوداني/ حسن عبد الرحمن موسى مصطفى. بريد الكتروني: hasan.a.m.mustafa@hotmail.com

(الأب يختم)

وَالْفَجْرُ أَبْلَغُ مِنْ تَقَاطُرِ أَدْمُعٍ مُخْتَالَةٍ،

سَالَتْ عَلَى سَهْلِ الخُدُودْ

ضَنَّتْ بِمَا رَحُبَتْ بِهِ

لَا حَرْثَ بَاتَ يُطِيقُهَا

وَالجَفْنُ يُضْنِيهِ الصُّمُودْ

حَتَّى أَشَابِيحُ الهَوَى اسْتَسْلَمَتْ

مِنْ مُرِّ طَعْمٍ آثَرَتْ صِفَةَ الشُّرُودْ

وَالحُزْنُ أُدْمِيَ مِنْ فَظَاظَةِ حُزْنِهِ

حَتَّى وَنَى مِنْ بَرْحِهِ عِشْقُ الخُلُودْ

آمَالُنَا كُنْهُ البَقَاءِ وَمَا لَنَا . . .

أَجْيَالُنَا أَسْبَابُنَا أَمَلٌ يَعُودْ . . .

فَإِنْ خَبَوْنَا . . . مَا تَعُودْ!

هوامش:

- البحر: قصيدة حرة تستأنس بتفعيلة الكامل (مُتَفَاعِلُنْ) دون التزام صارم بها.